قلب نـــورا

تلفن لي أخي كريم أن أتهيأ ليصطحبني الى المطار لاستقبال وسيم الـذي ستـصل طائرته في الرابعة مساء.

كان يوم عطلة الأحد، ونورا تخرج من الحمام موردة الوجنتين، وقد عقصت شعرها بمنشفة تبدو كالعمامة فوق رأسها، وجهاد يعد حاجاته لدخول الحمام.

رقصت نورا فرحا بمجيء وسيم، والكتأب جهاد وهو يدخل الحمـام.. أدركـت أن صراعا سينشأ بيت الفتيين لاستمالة قلب نورا الصغير..

وقفت نورا أمام المرآة تجرب أثوابها الواحد بعد الآخر، فقلت لها:

-مهلا، نحن لا نذهب الى حفلة عيد ميلاد.

امتعضت، وأصرت على أن تلبس ثوبها الأبيض المكشكش، الذي اشتريته لها فـي عيد ميلادها السابق, فبم أعترضها.. ولما خرج جهاد من الحمام ورآها اختار هو أيـضا بدلته البحرية التي بعث بها والده في عيد ميلاده..

خرج وسيم برفقة المضيفة الي أوصاها به عبد الرحمن وهو يرتدي بزة بحية ذات سروال طويل.. كانت بشرته أكثر بياضا مما ألفناه، وجهاد أكثر سمرة لكثرة ما سبح في البحر عندما تعانق الفتيان..

قبل وسيم نورا فلمست خدها.. كانت أول قبلة تلمس بشرتها الملوحة من فتى مـن جيلها، فجهاد لم يقبلها قط.. كان يعتبر ذلك خرقا للقواعد الأخلاقية التي تربى عليها فـي مجتمعه السابق، لاتليق بمعاملة الفتيات..أخذ يلكزني ويقول هامسا "أرأيت عمتي؟ أرأيت ما فعل؟".. كان دائما يريد أن يبهرها بتفوقه عليها في الحساب والسباحة ونشاط الصبيان، فخسرها.. وتعلّقت بقيلة مجاملة من وسيم..

كانت نورا شامتة بجهاد، جاء من ينافسه، بوسامته ولغته الفرنسية الطليقة.. سهرنا تلك الليلة في منزلي.. وقد طوقنا وسيم كلنا بالأسئلة عن مدرسته ورفاقه ووالده، وعمنـا أنور ووالديه، والطفل الذي أنجبته ابنته ليزا وصحته، وعن السفراء العرب الـذين كـان يلتقي بهم في منزل عمنا أنور.. كان يجيب بطلاقة وتهذيب عن الأسئلة، وفهمنا منـه أن عمنا أنور يضع ابنيه في مدرسة داخلية ويأتيان لزيارة والدهما في عطلة الأسبوع..

خاب وسيم قلب نورا بفصاحته ودماثته، ولما علمت أنه سيقيم عنـد العـم كـريم اكتأبت، وتنفس جهاد الصعداء..

-ماما ليش ما يبقى عندنا نلعب مع يعض في العطلة الصيفية؟

-حبيبتي، خالك طبيب وهو أقدر منا على العناية بصحته.. ولكننا سنزور بعـضنا نهاية كل أسبوع.. مرة عندنا، ومرة عند عمو كريم..

ذهبت نورا الى غرفتها يعد أن ودعت وسيم.. كانت متعبة من السهر غير المعتاد، والإنفعالات الطفولية المتباينة. وبقي جهاد قربي..

-تغير وسيم، فلا أكاد أعرف أنه أخي..

-ماذا تغير فيه؟

-شكله، قصة شعره، كلامه، تصرفاته، كان في صيدا كالأرنب المـذعور، وكنـت أحميه ممن يعتدون عليه.. وكلامه! كلمة عربية وكلمة فرنسية.. مرسي تانـت، مرسـي أونكل، مرسي نورا، وهذه القبلات التي طبعها على وجنتيها حين استقبلناه فـي المطـار وحين ودعنا ذاهبا مع عمو كريم.. تعرفين عمتي، كنت في السادسة من عمـري حـين تخانقت مع بنت الجيران، ثم قلت لها "هيا نتصالح ونتباوس!" جنّت وصفعتني، كانت أكبر مني بثلاثة أعوام، وذهبت الى أمها وشكتني، وجاءت أمها الى مامـا ثريـا وشـكتني، ونعتتني بالولد الفاسد الذي لا يخجل.. كيف يفعل وسيم هذا مع نورا؟ انـه لا يخجـل.. تسأله "أليك رفيقة في المدرسة؟" فيجيبها "رفيقات!" "وكلهن تتباوس معهن؟" "ليش لأ، هن أخواتي".. كيف يحدث هذل هناك؟ ألا يخجلون؟

-العادات تختلف من شعب الى شعب.. القبلة هناك لا تعنـي شـيئا الاّ المجاملـة والتحية، أما نحن فشعب محافظ، في الريف والمدن الصغيرة.. والقبلة عيب..

-يجب أن تمنعي وسيم من تقبيل نورا!

-أو أسمح لك بتقبيلها..

-لا، أنا لا أفعل ذلك حتى أكبر وتصبح زوجتي.

-أتحبها يا جهاد؟

-نعم، ولكنها لا تحبني..

أحسست أنه يتألم ولا يحتمل قلبه الحساس الغيرة من أخيه..

-ليش كلكم عاملين حلقة حوله.. شو هو بلبل بيغني وأنتو مستمعين؟

-يا جهاد كل ما في الأمر أنه قادم من بلاد لنا أهل فيه نسأله عـنهم فيجيـب..اننـا نخفف بالحديث معه من احساسه بعاهته، فهو لا يستطيع السباحة مثلك فلم يبق الاّ أنـت وعمو كريم..

-ونورا؟

-تخجل أن تنزل البحر بطوق مطاطي..

-لا، انها تحب الإستماع اليه وهو يتحدث عن رفيقات مدرسته.. حتى أمه ما عـاد يذكرها، ولا يحفظ أشعارها..

-كل واحد له طريقة في التغلب على أحزانه.. فلا تكن قاسيا في انتقاد أخيك!

شهدت ذلك الصراع بين الفتيين بقلب واجف حزين حتى تمنيت أن تنتهي العطلـة الصيفية بأسرع ما يكون حتى لا يتعلق قلب نورا به كثيرا، فتصرفاتها العفوية تغيظ جهاد دون أن تدري هي بردود فعله..قال لي يوما:

-ان وسيم يسلب مني حب الجميع، أبي وعمي كريم وخالتي أسماء وحتى نورا!

أكثر ما كان يحرجني هو أن تعلم داليا بوجود وسـيم عنـدنا وتـسبب المـشاكل لكريم..أصبحت عادة لنا أن نتزاور في كل أسبوع، وما عنا نزور قريـة النبـي يـونس خوفا من أن تشاهد ليديا الصبيين معا وتعرف في وسيم ابنها الذي تفتقده..

تناول جهاد مجلة قديمة كانت فريدة قد أخذتها من مكتبي لتنظف بها الفرن، وركض بها الى نورا ووسيم:

-أنظري نورا من هذه المرأة التي أصبحت ملكة جمال الريف!

-آه! انها المرأة التي خطفتنا أنا وأنت يا جهاد.

-وكانت تقول لي أنت ابني وأنا أمك..

-فتصيح بها "أنت كاذبة.. أمي ثريا..

نظر وسيم الى الصورة وهتف قائلا:

-هذه المرأة زارتني في المستشفى وقالت لي بأنها صديقة لأمي واشترت لي هـدايا كثيرة.. سألت نورا:

-شو اشترت لك؟

-لا أذكر..شوكولاتا، ثياب, لعب أتسلى بها وأنا لا أقدر أن أغادر الـسرير..انهـا لطيفة، وكان بابا يحترمها لأنها صديقة ماما.. كانت تبكي في المرة التي زارتنـي فيهـا لآخر مرة لتودعني..

-هذه ساحرة شريرة خطفتني وقيدتني لما أردت الهرب من بيتها أنا ونورا..

-يمكن خافت تضيع انت ونورا.. غضب جهاد وقال:

-لا، أنت لا تفهم .. حتى وقت جاء والد نورا ماأفلتتني.. بدها تبقيني بعيـد عـن أمي..

-يجوز أنها كانت تعلم بموت أمنا!

وانخرط وسيم بالبكاء...

* * *